الصيام في شهر الله المحرم

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٦ المحرم ١٤٣٨ في الكويت

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله ﷻ خلق الخلق واختار مِن خلقه ما شاء ﷻ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ [القصص:٦٨].

- فخلق الملائكة واصطفى منهم جبريل عليه السلام.
- وخلق البشر واصطفى منهم الرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم، واصطفى من أولي العزم محمدًا ﷺ، فهو سيد ولد آدم أجمعين.
- واختار من البشر بعد الأنبياء صحابة رسول الله ﷺ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب عباده، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في القلوب بعد قلب محمد ﷺ، فوجد خير القلوب قلوب أصحابه، فاختارهم وزراء لنبيه، يقاتلون على دينه.
- واصطفى من الصحابة أربعة: اصطفى أبا بكر الصديق رضي الله عنه، الذي كان النبي ﷺ يحبّه حبًّا شديدًا، حتى قال في آخر أيامه: «لو كنت متّخذًا خليلاً لاتّخذت أبا بكر خليلاً»، واصطفى أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه، الذي ما رآه الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجّه،

واصطفى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، الذي كانت تستحيي منه الملائكة، ويستحيي منه رسول الله ﷺ، واصطفى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، الذي شهد له النبي ﷺ بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ﷺ.

- واصطفى من النساء أربعًا: اصطفى مريم ابنة عمران، وآسية امرأة فرعون، وأم المؤمنين عائشة ﷺ، وفاطمة بنت محمد ﷺ وأرضاها، يقول النبي ﷺ: «كَمُل من الرجال كثير، و لم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»، وقال النبي ﷺ لفاطمة ﷺ وأرضاها: «أمَا ترضَين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة؟»، وفي رواية: «سيدة نساء هذه الأمة؟»، وفي رواية: «سيدة نساء المؤمنين؟».
- واصطفى من الشباب الحسن والحسين ﷺ، فهما سيّدا شباب أهل الجنة.
- وخلق الأمكنة، واصطفى منها المساجد، واصطفى من المساجد ثلاثة: المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والمسجد الأقصى.
- وخلق الأزمنة، واصطفى من أيامها يوم الجمعة، فهو سيد الأيام، وما طلعت الشمس ولا غربت على أفضل من يوم الجمعة، واصطفى من أيام السنة عشرة أيام، هي العشرة الأوائل من ذي الحجة، واصطفى من ليالي العام عشر ليال هي العشر الأواخر من رمضان، واصطفى من الأشهر أربعة، هي الأشهر الحرم، ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبة:٣٦]، وقد بيّن النبي ﷺ هذه الأشهر المحرّمة الأربعة، فقال ﷺ: «السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، ورجب مُضَر الذي بين جمادى وشعبان».

وقد كانت العرب -يا عباد الله- تحرّم هذه الأشهر الأربعة، لكنهم كانوا في جاهليّتهم يتلاعبون بهذه الأشهر، فيقدّمون ويؤخّرون، ويغيّرون بما يسمى النسيء.

هذه الأشهر الأربعة إنما جُعلت حُرُمًا لتأمين السير إلى بيت الله الحرام، فشهر ذي القعدة من أجل ذهاب الناس إلى الحج، وشهر ذي الحجة من أجل إيقاع الحج فيه، وشهر محرم من أجل عودة الناس إلى بيوتهم وديارهم بعد الحج، وأما شهر رجب فمن أجل العمرة وزيارة البيت.

قلنا: كان العرب يتلاعبون بهذه الأشهر، غير أن الزمان استدار، وانضبطت هذه الأشهر في السنة التي حج فيها النبي ﷺ، وما زالت الأشهر منضبطة بحمد الله ﷻ، قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض».

وإن شهركم هذا الذي تعيشون أيامه -شهر المحرم- من الأشهر الحرم، فإياكم -يا عباد الله- أن تظلموا فيه، إياكم والشرك، فإن الشرك ظلم عظيم، وإياكم أن يظلم بعضكم بعضًا، لا تظلموا قريبًا، ولا تظلموا بعيدًا، إن الله حرّم الظلم على نفسه، وجعله بينكم محرّمًا، فلا تظالموا يا عباد الله، وإياكم وظلم أنفسكم بترك ما أوجب الله عليكم، أو بفعل ما حرّم الله عليكم، فإن الظلم حرام من كل أحد على كل أحد في كل زمان، لكنه في الأشهر الحرم أشد حرمةً، وأعظم قبحًا، وأكثر إثمًا.

فالله الله عباد الله، الزموا العدل، وإياكم والظلم، وأكثروا -رحمني الله وإياكم- في شهركم هذا من الصيام، فإن أيامه أفضل أيام صيام النافلة، قال النبي ﷺ: «أفضل الصيام بعد شهر رضمان شهر الله المحرم»، وهذا يدل -يا عباد الله- على أن صوم النافلة في شهر محرم أفضل منه في سائر أيام السنة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أنه يستحب للمسلم أن يصوم الشهر كلّه من أوله إلى آخره، لأن جميع أيامه أيام فضل للصيام.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الأفضل أن يفطر في بعض أيامه ولو يومًا واحدًا، لأن ظاهر السنة أن النبي ﷺ ما استكمل صيام شهر قطّ إلا شهر رمضان، وما ورد في شهر شعبان على خلاف فيه بين أهل العلم.

وهذا الأقرب والله أعلم، أنه يستحب لنا -يا عباد الله- أن نكثر من الصيام في شهر الله المحرم، غير أن المستحب لنا أن نفطر قليلاً من أيامه.

فاشكروا الله –عباد الله– على أن متّعكم بالصحة والعافية، ورزقكم القوة، وجعلكم من أهل هذه الأيام الفاضلة، ومتّعوا أنفسكم بالتقرب إلى الله ﷻ بالصيام، فإن الصيام جزاؤه عند الله عظيم، ولا يعلم مقدار جزائه إلا الله ﷻ، قال النبي ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي».

ولما قال أبو أمامة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: دُلّني على خير أحمله عنك، أو: دُلّني على عمل أتقرّب به إلى الله، فقال النبي ﷺ: «عليك بالصوم، فإنه لا مِثل له».

فاللهمّ اهدنا ويسّر الخير لنا يا رب العالمين.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية: صيام يوم عاشوراء]

الحمد لله وحده، والصلاة السلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر المؤمنين:

اعلموا أنه يتأكد استحباب صيام يوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر في شهر الله المحرم، فقد كانت قريش تصومه في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه في مكة، فلما قدم المدينة رأى اليهود يصومون ذلك اليوم، فسألهم عن ذلك، فقالوا: ذلك يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وغرّق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصومه، فقال النبي ﷺ: «نحن أولى وأحقّ بموسى منكم»، فصامه ﷺ، وأمر بصيامه، وألزم بصيامه، وجعل صيامه فرضًا، وكان يتعاهد أصحابه، فلما فُرض صوم رمضان قال النبي ﷺ لأصحابه: «هذا يوم عاشوراء، لم يكتب الله عليكم صيامه، فمن شاء صامه، ومن شاء ترك»، وقال النبي ﷺ: «من شاء أن يصومه فليصمه، ومن شاء أن يتركه فليتركه، وأنا صائم».

فبيّن النبي ﷺ أن الأفضل صيامه، لصيامه ﷺ، وقد ظلّ النبي ﷺ يصوم يوم العاشر من محرم إلى أن مات ﷺ، لكنه في العام الأخير من حياته بعد ما صام عاشوراء قال له بعض أصحابه: إنه يوم تُعظّمه اليهود، فقال ﷺ: «لإن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع»، أي مع العاشر، وقال ﷺ: «خالفوا اليهود، صوموا التاسع والعاشر».

- فالأفضل للمؤمن -يا عباد الله- أن يصوم يوم التاسع ويصوم يوم العاشر.
- ويلي ذلك في المرتبة: أن يصوم العاشر والحادي عشر، وذلك لقول النبي ﷺ: «صوموا عاشوراء، خالفوا اليهود، صوموا يومًا قبله أو يومًا بعده»، ولأن المخالفة تحصل بهذا.
- ويجوز للمسلم: أن يصوم يوم العاشر فقط، لأن النبي ﷺ صام العاشر إلى أن مات ﷺ، لكن الأفضل والأولى أن يجمع مع صيام العاشر اليوم التاسع، فإن لم يكن فليجمع معه اليوم الحادي عشر.
- وإنْ أحب المؤمن أن يصوم التاسع والعاشر والحادي عشر فذاك حسن، لأنه بذلك يصيب يوم عاشرواء، ويكثر من الصيام في شهر محرم.

أما حديث: «صوموا يومًا قبله ويومًا بعده»، فإنه لم يثبت و لم يصح عن النبي ﷺ.

فاتقوا الله عباد الله، وأكرموا أنفسكم بما شرع الله لكم، وتقربوا إلى الله بالنوافل، يُحبِبْكم ربّكم ﷻ.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر شريف عظيم، بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، ومحا عنه عشر خطئيات، ورفع له بها عشر درجات».

فاللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا، وارضَ اللهم عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممّن رضيت أقوالهم وأعمالهم وقبلتها يا رب العالمين.

اللهمّ اجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين، اللهمّ اجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين، الهلم اجعلنا من عبادك الصالحين المصلحين.

اللهمّ إنا اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي فريضة عظيمة من فرائضك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا أجمعين، واغفر لنا ولوالدينا ولأهلنا ولمن نحب يا رب العالمين.

اللهمّ إنا اجتمعنا في بيت من بيوتك، اللهمّ فاجمعنا ووالدينا وأهلنا ومن نحب في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا، اللهمّ لا تحرم منّا أحدًا يا رب العالمين.

اللهمّ فرّج عن المكروبين من المسلمين في كل مكان، اللهمّ فرّج عن المكروبين من المسلمين في كل مكان، اللهمّ فرجّ عن المكروبين من المسلمين في كل مكان.

اللهمّ احفظ للكويت أميرها، واحفظ لها شعبها، واحفظ لها خيرها، وزدها بركةً وخيرًا يا رب العالمين، اللهمّ وسّع على أهلها في أرزاقهم، اللهمّ وأصلح أحوالهم يا رب العالمين، اللهمّ اهدِ القائمين على أمرها لما تحب وترضى، واجعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر يا رب العالمين.

اللهمّ من أراد بالكويت سوءًا أوفتنةً أو فُرقةً اللهمّ فَرُدّ كيده في نحره يا رب العالمين.

اللهمّ احفظ للكويت جماعتها، وبارك لها يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في أعمارنا، وبارك لنا في أعمالنا، وبارك لنا في أجسادنا، وبارك لنا في قوتنا، وبارك لنا في كل نعمة أنعمت بها علينا يا رب العالمين.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].